Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إن المرحلة بمعناها الكامل هي جزء معزول وقابل للتوزع بدون تحديد كظاهرة دائرية . وعند هذا الحد نتساءل هل توجد بالفعل مراحل بالتاريخ الأدبي كما تظهر بالتاريخ ، إن أصل الظاهرة الأدبية ليس في إعطاء خصوصية لمستوى الكتابة والقراءة وإذ كنا نستعمل كلمة مرحلة بالنسبة للظاهرة الأدبية ، فعلينا أن نقوم بذلك في معناها الواسع والأقرب إلى الأنطولوجيا منه إلى التسجيلية . إذ المرحلة هي مجموع موزع على استمرارية تاريخية حيث يجمد الزمن . وتجد المراحلية نفسها مضطرة إلى القيام بمسودة ، يظهر على أنها تبعد كل مفهوم جدلي للمستقبل التاريخي ، إن جعل الماضي سلسلة من الوجوه ، التي يحدد كل منها بتاريخين وتسمية ، ليخضع للوهلة الأولى إلى خطوة لا تخضع للمنهج العلمي .

وتعتبر المراحلية نفسها ، وبشكلها البريء مكاناً لاستثمار إيديولوجي كثيف : إذ لا يمكن أن تختار المفاهيم الضرورية للقيام بالتقسيمات داخل التاريخ ، إلا في حدود فلسفية للتاريخ وتحديد للأدب : وهذه الفلسفة وهذا التحديد هما إيديولوجيان في جوهرهما . . .

أليس من المدهش أن نرى التاريخ الأدبي منذ مدة يتكون كتاريخ باستعماله تقسيماً مرحلياً ، هذا التقسيم المعقلن ، طبقاً لأهداف نظام الأيديولوجية الوضعية كثيراً ما ينقصه التنظير ، أي أنه غير منسجم مع موضوعه . . .

ولا يمكن أن يدفع إلى التفكير بالتاريخ إلا ما يمس الحدث الأدبي ، وليس أدباً ما يسميه جنيت بوظائف الأدب : « الإنتاج ، الاستهلاك ، التواصل » .

ولا تعدل فترة : درجة أو مرحلة نحو شكل أكثر كمالاً أو تمرساً بالنوع ، إنها تنتج ممارستها الخاصة بها ، ولهذا السبب على كل تقسيم مرحلي أن يتأسس بالضرورة على نمطية تدفع إلى تطوير كل نمط ، ونجد في تتابع المراحل أنفسنا بالتالي أمام تتابع وظيفي ، والمرور من وظيفية نحو أخرى تتم عن طريق تحطيم وإعادة بناء الأساليب والمنظورات الحياتية .